التعريف بمخطوط بستانُ الأزهار في مناقبِ زمزم الأخيار ومعدنِ الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرّاشدي النسب والدار الشيخ أبي عبد الله محمد الصباغ القلعي

أ. زناقي فتحي
جامعة وهران1

ملخص الموضوع

يحتل مخطوط بستان الأزهار مكانة علمية هامة في الدراسات المتعلقة بسير الرجال، يتعلق بسيرة وحياة الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف الراشدي، تناول المخطوط مختلف الكرامات التي حدثت للشيخ، وهو يؤكد في ذلك على أن الكرامات ممكنة الحدوث ويقدم أدلته.

نحاول من خلال هذا المقال دراسة المخطوط وتحليله وبيان المكانة العلمية للمخطوط ولصاحبه من خلال حياته وسيرته الذاتية

The definition of Bustan AL Azhar manuscript (the garden of flowers) in the virtues of Zamzam the righteous and the metal of Lights Sidi Ahmed bin Yousef Al Rashidi , the parentage and the house Sheikh Abu Abdullah Muhammad Al Sabagh Al Qualii

Mr. Znagui Fathi Oran University 1

Abstract

The manuscript of Bustan Al Azhar occupy a very important scientific position in the studies of the conduct of Men . It has a relation with the biography and the life of AL Wali Al Salih (the good guardian) Sidi Ahmed bin Yousef Al Rashidi , this manuscript contains various miracles that have occurred to the Sheikh, and he confirms that the dignities are possible to occur and he provides his evidence.

We are trying through this article to study and analyze the manuscript and the statement of the scientific status of the manuscript and its author through his life and his biography .

مقدمة

الحمد لله الذي جعلَ في كلّ مكانِ وزمانِ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم، يدْعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحْيُونَ بكتاب الله الموتى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحْيَوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبحَ أثر الناسِ عليهم !! ينفونَ عن كتاب الله تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويل الجاهلين.

اللهم صلّ وسلم على سيد الأولياء، الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، وارْضَ اللهم عن أسيادنا أبي بكر وعمرَ وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة الطيبين الطاهرين ومن اقتفى آثارهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنّ " بستانُ الأزهار في مناقبِ زمزم الأخيار ومعدنِ الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرّاشدي النسب والدار " هو مخطوط كتبه أحدُ أبناء خدَّام الشيخ أحمد بن يوسف، فحاول أن يجمع فيه كل ما رآه وهو صغير عن الولي الصالح، وكلّ ما سمعه من والده وتلاميذ الشيخ ليخرجَ بعمل يُفهم من خلاله شخصية هذا الولي. وقبل أن نوجزَ حياة الشيخ الولي الصالح أحمد بن يوسف المليانى في أسطر لا بد أن نعرِّف بالمخطوط الذي هو بين أيدينا.

أما عنوان المخطوط: بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النّسب والدار.

وأما المؤلف فهو الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد قاضي القلعة بن أحمد بن علي الصباغ القلعي نسبة إلى قلعة بني راشد بنواحي تلمسان من أرض الجزائر.

ويشير المؤلف إلى أنه قد عاصر وهو صبي سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وكان والد المؤلف تلميذا مباشرا للملياني المذكور.

وأما عن موضوع المخطوط فهو في خصوص مناقب الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف الراشدي الموطن والأصل نسبة إلى بني راشد البلاد التي تضم مدينة معسكر وغليزان ونواحيهما بالغرب الجزائري، وذكر كراماته وشيء من مأثور كلامه، وسرد جملة وافرة من أخبار تلاميذه.

وقد أكثر الصباغ من الاستدلال على كرامات الشيخ وأحواله بنقول كثيرة ونصوص متلاحقة أخذها رأسا من كتاب ديباجة الافتخار للقاضي موسى بن عيسى المازوني في خصوص شرعية طريق التصوف وأحوال أهله وما نسب إليهم من الكرامات قديما وحديثا. ولا يزال الصباغ يدافع عن ذلك ويحمل على من أنكرها ومنهم الفقهاء من أهل زمانه خصوصا.

وأصل المخطوط موجود ببلدة مازونة بالغرب الجزائري يمتلكه السيد هنِّي محمد حفيد سيدي محمد بن عبد الرحمن المازوني.

والمخطوط كامل لا ينقصه إلا القصيدة التي نظمها المؤلفُ في مدح سيدنا أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وهو مكتوب بخط مغربي وسط ولم يشرِ الناسخُ إلى اسمه ولا إلى تاريخ نسخه. كما لا توجد إشارة إلا تاريخ تأليفه. وما ورد من الصفحة الأولى إلى الصفحة السادسة قبل مقدمة المؤلف ليس من أصل الكتاب بل زاده

الناسخون فيما بعد وفيه نسب سيدي أحمد ومناجاته وفيها تعريفٌ للغوث وغير ذلك...وسيد أحمد بن يوسف هو الاسم الشعبي المتداول عند عامة الناس وأما اسمه الكامل فهو أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نشأة إذ ولد بقلعة بني راشد بجبال " بني شقران " جنوب شرق مدينة معسكر في أواسط القرن الخامس عشر. وسمي " المريني " نسبةإلى عائلة " الزناتية " التي ينتمي إليها والتي بدورها جاءت من مراكش إلى حيث قبائل"هوارة" ذات الشهرة الكبيرة في المغرب الأوسط. كما أن تسميته أيضا بالملياني نسبة لوفاته بمدينة مليانة سنة (931هـ/1521م).

تخرج الشيخ أحمد بن يوسف من مدارس تلمسان أواخر القرن التاسع الهجري، ورحل في طلب العلم إلى مدينة بجاية حيث لقي الشيخ أحمد زرُّوق [1] الذي كان بمثابة مرشده الروحي وسنده في الطريقة الشاذلية أين تعلم تعاليم الإسلام والطريقة الصوفية.

ثم رجع إلى موطنه "قلعة بني راشد "هناك، حيث تزوج فيها مرارا بنسائه التالية أسماؤهن:عائشة وخديجة وكليلة ولالَّة ستِّي، وأقام فيها زاويته وبالتحديد بـ"رأس الماء "،حيث اجتمعت حوله أعداد غفيرة من المريدين الذين اتبعوا طريقته، بلغت الآلاف.

وقد أصبحت زاويته مركز إشعاع ديني واسع حتى وصفتْ في زمانها كأنها مركبُ سيدنا نوح عليه السلام، من دخلها فقد سلِم من كل سوءٍ. الأمر الذي شجعه على تأسيس طريقته " اليوسفية " في الجزائر وفي المغرب الأقصى.

وقيل إن الله عز وجل أنعم عليه بعلم الظاهر والباطن، ودعا الله عز جلاله في دعائه إلى تحقيق ثلاثة أمور استوفاها في ليلة واحدة وهي: أن يبلغ العلم دون مشقة، وبلغة فوق مبلغ الرجال، ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة لا في المنام.

بيد أن أتباع الشيخ اضطهدوا وتعرضوا للمضايقة في المغرب الأقصى والجزائر من الزيانيين الذين خافوا من اتساع نفوذ الشيخ أحمد بن يوسف. أين سعى السلطان إلى التخلص منه بقتله؛ فكان أنَّ عامِل وهران قائد الهوارة نصح الشيخ بالرحيل. فرحل الشيخ أحمد بن يوسف ليقيم زاويته بـ" يَلَّل"بين قبائل " بني أردو " غير أنهم رفضوا إقامته وسَطْهم فقالَ ساعتها فيهم: " شوشوا علينا يشوش الله عليهم من البر والبحر. ".. فلم ينقض غير أيام معدودات فإذا بالإسبان يأخذون مدينة "وهران"،ثم أخذ الأتراك مدينة:" تلمسان ".

وقد زاد الخلاف بين الشيخ سيد أحمد بن يوسف وبعض أمراء الدولة الزيانية، مما جعل الملك أبو عبد الله (1505م-1512م) والملك أبو حمُّو (1512م-1528م) يعجّلون بوضعه في السجن. غير أن الشيخ الجليل قد سلم من طول السجن، وخرج منه بحكاية مذكورة في نص البستان.

وقد برز دور الشيخ سيد أحمد بن يوسف من جديد في هذه الفترة مؤديا دوره السياسي، حيث ربط اتصالاته مع العثمانيين قبل:1517م خاصة مع القائد بابا عرّوج على ما أشار إليه الصباغ حيث التقى بالشيخ سرا بغرب الجزائر بمدينة مستغانم واتفقا على أمور منها: محاربة الإسبان، وقد دام تحالفهما طيلة العهد العثماني.

وقد نال سيد أحمد بن يوسف جلل الكرم من القائد خير الدين بربروس في عدة مناسبات بإرسال هدايا ثمينة باركه الشيخ عليها كثيرا. كما اعترف القائد خير الدين بربروس بولده " محمد بن مرزوقة " خليفة لوالده الشيخ المليانى في رئاسة الطريقة الشاذُلية ونشر دعوتها التي دامت إلى نهاية العهد التركي في الجزائر.

توفي الشيخ الجليل سيد أحمد بن يوسف رحمه الله عند خروجه من مدينة تلمسان متوجها نحو الشرق الجزائري غير أن الأجل عاجله فقضى بضواحي قرية كانت تسمى" بالخربة " قديما، وسميت حديثا بالعامرة بسهل شلف الأعلى التابعة إقليميا إلى ولاية عين الدفلى في شهر صفر 931 هجري 1524/25م. وحملت جثته على ظهر بغلته التي تابعت السير إلى أن توقفت بأحد أحياء مدينة مليانة المتواجدة على سفح جبل زَكَّار أين كان مثواه الأخير، حيث دفن هناك ودفنت إلى جانبه بغلته وكذلك أقبرت معه خادمته لالَّة بغُورة بوصية منه أن يدفن حيث تبرك بغلته.

وقد بني له ضريح إلى جانب زاوية لتدريس أصول القرآن الكريم وحفظه ومسجد للصلاة بأمر من باي وهران "محمد الكبير بن عثمان" في أواسط القرن الثامن عشر ،أيْ في العهد العثماني سنة 1774. وضريح الشيخ سيد أحمد بن يوسف يعدُّ مركزا شعائريا يدخل في عديدٍ من عادات وتقاليد مدينة مليانة وضواحيها وتراثها الشعبي.

فضْلا على الرّكبان الموسمية التي تعتبر من أقدم العادات الشعبية المتوارثة والتي تقام سنويا، تكريما وتبركا بالولي الصالح و من أهمها: ركب بني فرح.

وتذكر بعض الكتب التاريخية أن عائلة الأمير عبد القادر كانت تقطن في ضريح سيدي أحمد بن يوسف أثناء غياب الأمير وانشغاله بشؤون الحرب؛ رغم امتلاكه بمدينة مليانة منزلا يعود إلى العهد العثماني ما يزال قائما كمَعلم أثري بالمدينة إلى جانب معالم تركها الأمير عبد القادر بمليانة.

والشيخ سيد أحمد بن يوسف يصنفه المؤرخون ضمن أسماء الأولياء الصالحين الذين نالوا شعبية واسعة في شمال إفريقيا؛ إذ له كراماتٌ عدة، ومجموعة من الأقوال المأثورة، وأقوال

حول البلدان والمدن التي حط الرحال بها. حيث كان يترك في كل مدينة أثره في مقولة تعني المدينة وأهلها نذكر منها: مدينةالبليدة التي قال فيها: " البليدة الورَيْدة "، وفعلا تعرف مدينة البليدة بمدينة الورود. كما سخط سيدي أحمد بن يوسف أيضا على مدن لأسباب مذكورة في محلها.

وقد نال الشيخ سيد أحمد بن يوسف بالغ الاهتمام من المؤرخين الذين جمعوا أقواله وسيرته الدينية والسياسية منهم: الكاتب الفرنسي" روني باسيه " في مجلة أقوال سيد أحمد بن يوسف صدر ت سنة 1890م.

كما ترك الشيخ الولي الصالح مجموعة غير كثيرة من المؤلفات إذ لم يعرف عنه أنه كان مهتما بالتأليف؛ نظرا لطبيعة عمله، ومع هذا فقد استطعنا التوصل إلى معرفة بعض العناوين التي تركها منها:

1. حكَمٌ في التصوف: عبارة عن حكَمِه التي سجلها بعضهم، وقد اشتهر عنه الكثيرُ من الحكم، والتي لا تزال منتشرة بين الناس، ومن حكمه المعروفة: "خديم الدنيا أسيرٌ، وخديم الآخرة أجيرٌ، وخديم الحق أميرٌ."، و منها "من دلَّك على الدنيا أتعَبك، ومن دلك على العبادة فقد أشقَاك، ومن دلك على مولاك فقد نصحك."...،. والمخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 1066، ضمن مجموع من الصفحة 258 إلى 265.
2. رسالةٌ في أحكام الخِرْقةِ الشريفة: عبارة عن أقوال وحكَمٍ ورسائل الشيخ المليانى، جمعها أحدُ تلامذته، من ضمنها رسائله إلى أهل فجيج، فاس، تافيلالت، وحتى بلاد الهند...وغيرها.مخطوط في 45 ورقة، ضمن مجموع بمكتبة الأسرة العثمانية بطُولْقة.

3. رسالة في الرّقص والتصفيق والذكر في الأسواق: تضمنت عدَّةَ مسائل في التوحيد والعقيدة والتصوف، تناول بالحديث فيها: طريق المعرفة، درجات المعرفة، المكاشفة، المجاهدة،...والمخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 2792 د، وهناك نسخة أخرى بمكتبة الشيخ بنْعزوز القاسمي.
4. الرموز والإشارات: مخطوط بالمكتبة القاسمية بالهامل، أوله:"هذا كتاب الرموز والإشارات...". نسخ سنة 1325 هـ، 27 ورقة، لم نجد من أشار إليه أيضا من الباحثين والمترجمين له.
5. مختصرٌ لكتابِ في التصوف: مخطوط بالخزانة العامة بالرباط في 40 صفحة رقم:1141.أوله:" قال للسائل عن ذات مولانا هل هي حسية أو معنوية؟...".
6. المنهجُ الحنيف في معنى الاسم اللطيف: وهو عبارة عن رسالة تقع في 14 صفحة، يبدو أن موضوعها هو تفسير وشرح اسم اللطيف من أسماء الله الحسنى، والرسالة موجودة بمكتبة الشيخ بنعزوز القاسمي الحسني ضمن مجموع؛ لم نجد من أشار إليها سابقا.
7. رسالة التحقيق ومنهج الهدى إلى الطريق:نسخة من المخطوط موجودة بمكتبة الشيخ بنعزوز القاسمي.

أما عن أولاد سيدي أحمد بن يوسف فواقع الحال يؤكد انتشارهم بكثرة في الغرب الجزائري، ويؤكد هذا الواقع بحثا أجراه كل من (*Octave Depont*)و(*Xavier Coppolani*) في كتابهما:" الطرق الدينية أو(*Les confréries religieuses musulmanes*)المطبوع سنة 1897 م[2].

ففي الصفحة 461 من الكتاب أشار المؤلفان إلى أن سيدي أحمد بن يوسف خلّف أولادا منهم محمد بن مرزوقة المذكور في هذا المخطوط، هذا الأخير خلّف بدوره أولادا منهم مُومَن الذي أنجب " بنَ يحيى " والدَ سيدي الخلاّدي الذي أنجب الكثير من الأولاد المنتشرين الآن في الغرب الجزائري والمغرب و"تيوت " منطقة بمدينة النعامة.

أقام سيدي " الخلاّدي " المذكور في " القناطر " منطقة بمحافظة تلمسان تسمى الآن " الرَّمْشي "، وله ضريح في وسط تلمسان يزار إلى يوم الناس هذا، وقد خلف سيدي الخلادي ستة أبناء هم: سي زناقي، سي زروقي، سي الحاج صافي، سي ويس، سي يحيى، وسي ميلود،وكل ولد من هؤلاء خلف أجيالا.

أما أولاد سي زروقي فبعض هم ذهب إلى منطقة زَكَّار بالمغرب وبعضهم لا يزال موجودا بين مدينتي تلمسان وعين تموشنت شمال غرب الجزائر.

ولما توفي سي الميلود سادس أبناء سي الخلادي في القناطر المعروفة بالرَّمشي من أرض تلمسان، كان قد خلَّف ابنا يدعى " سي محمد " الذي عاد إلى منطقة تيوت بالنعامة وأقام هناك إلى أن وافته المنية، وأولاده الآن معروفون في المنطقة بأولاد الميلود.

ومع احتلال الجزائر سنة 1830م بدأ الفرنسيون في وضع سجِّلات لتقييد كلّ الموجودين داخل الجزائر فبدأ كلٌّ واحد من أولاد سيدي أحمد بن يوسف بتلقيب نفسه تبعا لأقرب جدٍّ له، وبذلك انتشرت هذه الألقاب المعروفة اليوم في الغرب الجزائري وهم : زْناقي / مولاي المليايي / بن يوسف/ زرّوقي/ سيدي وِيسْ/ حاج علي/ سي بشير/ خلاّدي/ حاج صافي/ عبد الوهاب/ يَحْلَى.

التعريف بمؤلف المخطوط

هو محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي نسبة إلى قلعة هوارة القريبة من تلمسان، ولد حوالي 923هـ وقد ذكر أنه كان ما يزال رضيعا لم تنبت أسنانه عندما انهزم الأتراك أمام الجيش أبي حمو المدعم من طرف الإسبان سنة 924 هـ.

تولى الصباغ بعض الوظائف منها قضاء القلعة وهي وظيفة هامة لا يشغلها عادة إلا من كان من الفقهاء.

كان والده المعروف بابن معزة بتشديد الزاي من أتباع الشيخ أحمد بن يوسف الماليانى، كان من المدافعين عن الشيخ ومن الملازمين له فقد كان يغسل له حتى الثياب، كان من المشتغلين بالعلم والشعر وكان يدافع عن الشيخ سيدي أحمد بالشعر، توفي في المعركة التي سقطت فيها القلعة مع إسحاق أخي خير الدين بربروس سنة 924 هـ..

لم يؤلف الصباغ القلعي كتاب بستان الأزهار فقط، بل له شرح لأسماء الله الحسنى وشرح في الأذكار وله أيضا (شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير بالمراد)، وهو شرح على قصيدة إبراهيم التازي المعروفة بالقصيدة المرادية في التصوف[3].

بعض ماورد من كرامات سيدي أحمد بن يوسف في المخطوط:

يقول الصباغ القلعي صاحب البستان: حدثني محمد بن الهواري المصراتي وذلك أن الشيخ رحمه الله حدثه مشافهةً فقال له: كنت في بجاية عند شيخي سيدي أحمد زروق رحمه الله ونفعني به فدخلتُ خلوةً بقيتُ فيها أياما فغلبني الجوع وأقسمت بالله لا أكلتُ إلا من يدِ العدو، فخرجت من الخلوة ذاتَ يوم وذهبتُ إلى ترش [4] البحر ورقدتُ كأني ميّتٌ إلى الليل فقَدِمتْ سفينةٌ للروم فرسَوْا بالقرب مني وهبط بعضهم لاستقاء الماء فوجدوني مطروحا بالأرض فقالوا: هذا غلبه الجوع، فأعْطَوني الطعام فلم آخذْه بيدي ثم أطعموني بأيديهم فأكلتُ وشربتُ ورفعوني لسفينتهم وأرادوا الذهابَ بي فلم تتحرك السفينة، فقال رئيسهم:

هذا قسيس، ثم طلبوني في الدعاء فدعوتُ لهم وقلت لهم: اذهبوا سالمين غير غانمين، ثم أمر الرئيسُ النصارى فأخرجوني إلى طرف البحر، ثم رجعت لبجاية فرأيت حلقة عظيمة والناس مجتمعون [5] فقصدتهم فإذا بشيخ لابس عباءةً عاريَ الرأس وهو في وسط الحلقة يذكر الله يُقال له سيدي قاسم البسكري نفعني الله ببركاته آمين، فقال لي: أدخل الخلوةَ ولا تردَّ ما يُعطاك ثم اذهب لأهلك في رأس الماء[6]، ولم يعلم أحدٌ من تلك الحلقة لمن يقول ذلك؛ لأني كنتُ لا يعرفني أحدٌ ثم ذهبت كما أمرني سيدي أبو القاسم فدخلت الخلوة إلى الليل، أتاني رجل بحفنة دارهم وناولنيها من بين الحائط والباب وذهبَ.

ثم بعد ذلك اشتريتُ فرسي البَقْعة ودراوية [7] تقلدت بها وكسوة، فأتيتُ رأس الماء، وجعلتُ نوالة[7]، وجلست فيها في رأس الماء لا يعرفني أحدٌ ثم بعد ذلك صرتُ أمشي أُصَلي في سوق أم العساكير [8] بالناس فتسامعَ الناس بي وصاروا يأتوني فسمع بذلك سيدي عمر التراري فقال: أنا أذهب أقتلُ هذا الرجل البدعي. فقدم راكبا فرسَه إلى أن قرب مني، وقَفَتْ فرسُه فضربها بالقضيب والهماميز فامتنعتْ، ثم ردّها إلى جهة أهله فرجعت، ثم الغد فَعَلَتْ مثلَ اليوم الأول، ثم في اليوم الثالث قال لفرسه: اذهبْ بنا نختبرْه ليس إلا، فأطاعته وانقادت بقدرة الله تعالى سبحانه، فلما قدم على الشيخ سيدي أحمد قال له: فرسُك خيرٌ منك، فقبّل يدَ سيدي أحمد وتاب عمَّا عزم عليه وجلس عنده.

ثم قدم سيدي عثمان بن عمر راكبا حمارة، ثم بعده سيدي عبد الرحمن القلّي، واجتمعوا عند الشيخ سيدي أحمد نفعني الله بأجمعهم واختبروه في العلم فوجدوه بحرا لا ساحل له، ثم قالوا له: نزوجك امرأةً، فقال لهم: حبًّا وكرامة، فخطبوا "ستي" وقالوا: شرطَ أهلها مائةً وخادميْنِ وبغلتينِ في صداقها، فقال: قبلتُ فقالوا: هذا شيء كثير وأنت لا شيءَ

عندك، فقال لهم:خزائنه كثيرة ورحمته واسعة؛ فعقد عليها ثم أراد أن يبني بها فأتاه ابنُ ماخوخ الدّشري بحوائج أهله قدرها أربعون دينارا، ثم أتته الهدايا والفُتوح من كل مكان .هـ.

ويضيف صاحب البستان: (ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف ما أخبرني به من أثق به، أنه كان جالسا في موضع يقال له رأس الماء من وطن بني راشدٍ، إذ رأى شابا مقبلا وعليه ثيابٌ حسنة وهو يغني بصوت حنين فأعجبه حسن صوته، فقال الشيخ: ليتَ هذا الصوت الحنين يذكر الله، ثم إن الشيخ ناداه حتى أقبل إليه فقال له الشيخ: تُبْ إلى الله وارجع إليه، وبإزائهما شجرةُ مشماش في زمن الشتاء ليس فيها ورق فضلا عن غيره. فقال الشاب للشيخ: إن أطعمتني المشماش من هذه الشجرة الآن فأنا أتوب، فقام إليها الشيخ وهزها بقدرة الله عز وجل فإذا بالمشماش يتساقط منها أحسنَ ما تثمره في إبّانه بعناية الله وبصدق متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتاب الشاب بالفور بسبب هذا الشيخ المبارك وذهب فدخل مغارة يعبد الله فيها ثم بعد أيام ذهب إليه الشيخ فوجده في المغارة فقال له: كيف حالك مع الله؟قال له الشاب: أعطاني ما لم يعط لأحد أوكلام نحو هذا. هـ.

ومن مناقب سيدي أحمد ما روي أن سرقةً ذهبت من ركب الزيتوني حين نزل بعدوة قلعتنا حماها الله ذاهبا للحج فاتهم الناسُ ابنَ هند الزجراري بالسرقة؛ فذهب إليه الشيخ سيدي أحمد بن يوسف مستجيها [9] في ردِّ السرقة وكان بن هند قاطنا بموضع يقال له تاشعبانتْ بالقرب من قلعتنا حرسها الله فدخل الشيخ بيتَ ابن هندا وطلبه في رد السرقة فامتنع وقال: لم أسرقْ شيئا فخرج الشيخ وقال لأصحابه: قولوا له يردُّ السرقة ويستر نفسَه

فقد جلست عليها في موضع جلوسي؛ فاعترف ابن هندا بها: وردها بالفور وتاب على يد الشيخ.

ومن مناقب سيدي أحمد بن يوسف –يقول الصباغ– ما حدثني بعض أكابر قلعتنا كلأها الله، أن الخطيب الملقب القنتي القلعي حين كان في أول شبابه مِعْيانا لا تقع عينُه على شيء إلا أهلكته وأمرضته وكان لا تعيش له ذرية يصيبها بالعين والعياذ بالله، فشكا ذلك للشيخ فبصقَ في فمه فأزال الله عنه ذلك وعاش أولادُه وهم الآن أحياء.

هذا وقد صال الصباغ وجال في ذكر كرامات سيدي أحمد بن يوسف، ولا يسعنا المقام لذكرها كلها، إلا أننا حاولنا الإستشهاد ببعض القصص لإثبات ما لأولياء الله في كل زمان من كرامات.

ثم يعرج الصباغ إلى ذكر إعتراف العلماء بولاية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف فيقول:

فصل في ثبوتِ ولاية الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمه الله بما صحَّ واشتهر شهرة تقطع ألسنةَ الزائغين وتصدُّ في وجوه الحاسدين والجاحدين، واستفاض التحدثُ بذلك وشاع وذاع على ألسنة الأئمة المهتدين من فحول علماء المسلمين المشهود لهم بدرْك الحقائق، وطول الباع في فن العلوم والعدالة والدين من السادات الأفاضل من علماء المتأخرين على ما أذكرهم واحدا بعد واحد إن شاء الله.

ومن ذلك ما حُكيَ أن السيد الفقيه العالم الحُجَّة الأوحد الصدر العارف بالله سيدي محمد بن يوسف السنوسي[10] رحمه الله ونفعني به آمين، أن سيدي موسى الزنداري كان يقرأ على السنوسي المذكور إلى ذات يوم وقع يغتابُ في سيدي أحمد بن يوسف مع بعض

الجهلة، فلما أن أتى إلى مجلس شيخه السنوسي المذكور بادره شيخُه بالإنكار، وقال له: تتقول في سلسلة الذهب سيدي أحمد بن يوسف، اذهب إليه الساعةَ واطلبه في الاستغفار وأن يجعلك في حلٍّ من الغِيبة التي اغتبته بها، خذ عليه من الأسرار التي منحه الله بها، فذهب وفعلَ ما أمره الشيخ به .انظر يا أخي لتعظيم سيدي محمد بن يوسف السنوسي للشيخ سيدي أحمد بن يوسف نفعني الله بأجمعهم مع ما اتصف به السنوسيُّ المذكور من فنون العلوم، وقد حاز السبْقَ في جميعها في عصره وخصوصا علم الكلام، فقد أوضحه وبينه لنا وجمعه بألفاظ موجزة نافعة، وانتفع الكلُّ بذلك على يده وبسببه نفعه الله بقصده ونيته. ولقد صدق شيخُنا أبو عبد الله سيدي محمد بن منصور المستغانمي في الأبيات التي مدح السنوسيَّ بها من البحر الطويل ولفظه:

لقد منَّ ذو الفضل العظيم بطَوله علينا بنجم آخرَ الدهر لائحا
فأبدى لنا التوحيدَ عذْبا مخلَّصا وبالغَ في التبيين للحقّ ناصحا
وذلك السنوسي الذي جمَّ فضلُه وحازَ فخارا في البرية واضحا
فخارُ تلمسان عليك بكتبه فإنها لا تبرا [11] لمخلص طافحا.

فكيف ينكرُ الجاهل الأعمى ولايةَ من شهد له بها فحلُ الفحول ومن به تضربُ في العلوم المثُول سيدي محمد بن يوسف السنوسي رحمه الله ونفعني به آمين.

ومنه ما حدثني من أثق به أن السيد العالم العلامة المتفنن الحافظ للمذاهب الأربعة سيدي أحمد بن محمد بن الحاج البيدري رأى منقبةً للشيخ سيدي أحمد بن يوسف وأتى إليه من يَبْدَرَ في زمن الصيف فوجده في رأس الماء فلما أن قدم عليه قال له مبادرا ومخبرا له بما

رأى من منقبة وكرامة: ساقتك إلينا العبرة. فأقر بذلك سيدي أحمد بن الحاج، وجلس عند الشيخ سيدي أحمد ثلاثة أيام، وانصرف فرحا مسرورا سالمَ الصدر مما كان في نفسه.

صور المخطوط :

الصفحة الأولى من نص البستان للصباغ.

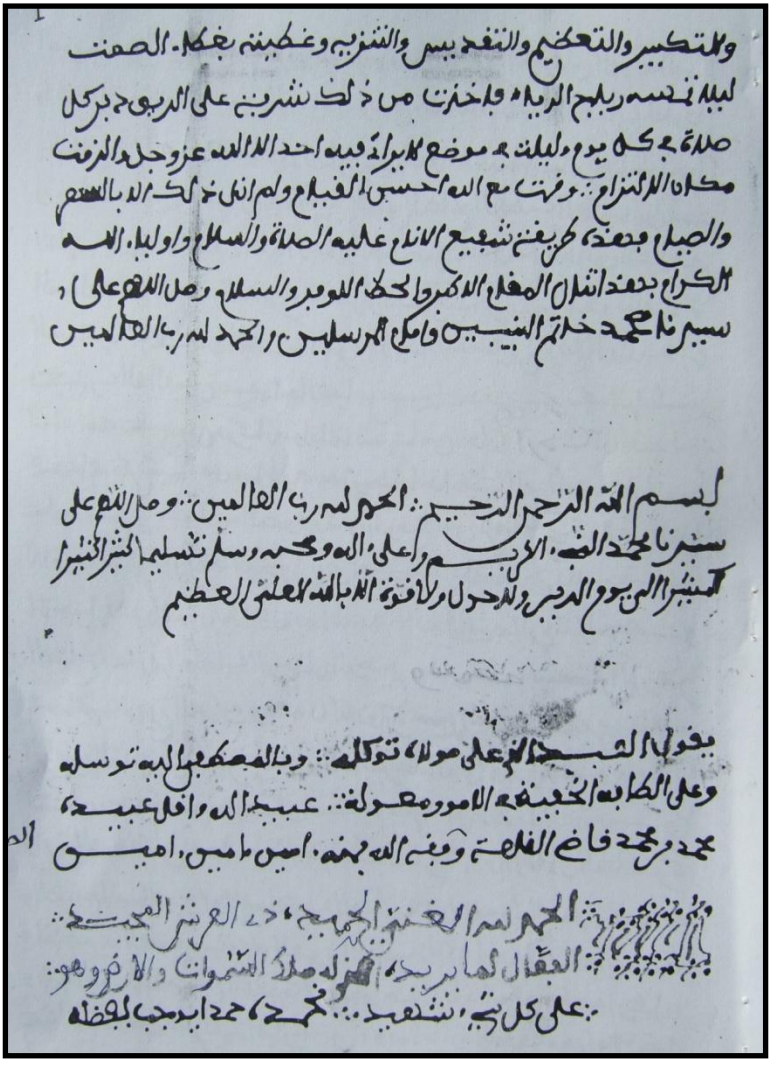

الصفحة الثانية من نص البستان للصباغ.

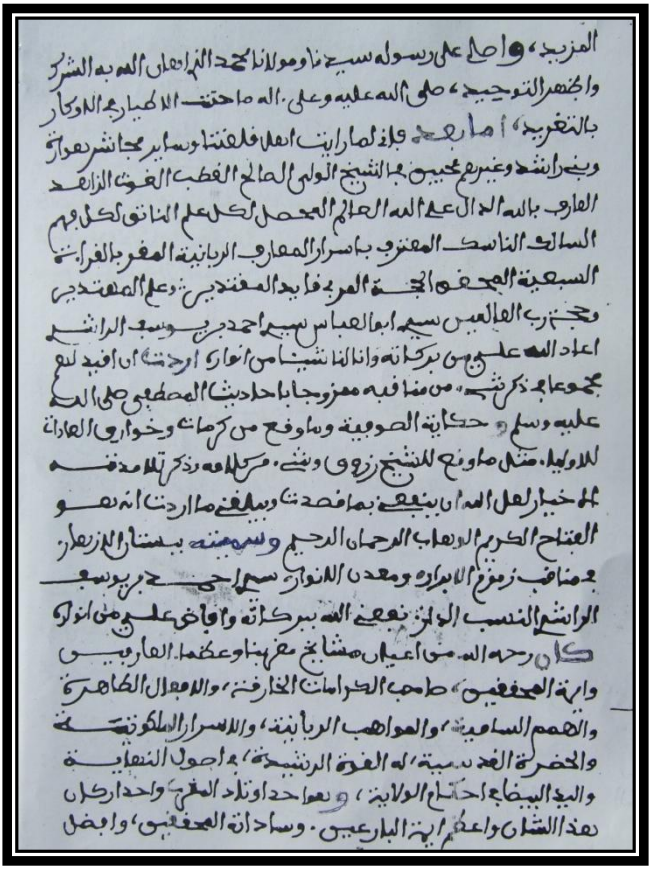

الصفحة الأخيرة من نص البستان للصباغ

الهوامش:

1. أحمد زروق (846 - 899 هـ) (1442 - 1493 م) أحمد بن احمد بن محمد بن عيسى البرنسي، الفاسي، المالكي، الشهير بزروق (شهاب الدين أبو الفضل) صوفي، فقيه، محدث. ولد بفاس في 28 من محرم، وتوفي في صفر بتكرين في طرابلس الغرب. من مؤلفاته: شرح الحكم العطائية، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة، اغتنام الفوائد في التنبيه على معاني قواعد العقائد للغزالي، شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي، تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في التصوف، وله نظم.

2. *Les confréries religieuses musulmanes* المكتبة الرقمية الفرنسية، موقع الأنترنت

3. ينظر الدكتور أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص114، ج2، ط6 ، دار البصائر_الجزائر

4. لعله يقصد ترس البحر أي الحجارة الموجودة على الشاطئ: قال الصاحب بن عباد "والتُرْسُ من جَلَدِ الأرْضِ: الغَلِيْظُ منها". المحيط في اللغة: مادة ترس. 255/2.

5. في الأصل مجتمعين.

6. دائرة رأس الماء دائرة جزائرية تقع جنوب ولاية سيدي بلعباس شمال غرب الجزائر. مركزها بلدية رأس الماء وتضم إضافة إليها بلديتي واد السبع ورجم دموش. موسوعة ويكيبيديا.

7. لم نقف على معناها الظاهر أنه مكان خفيف للإقامة.

8. أم العساكر أو معسكر: كانت قرية صغيرة، جعلها الموحدون قلعة عسكرية ثم صارت عاصمة الإقليم في عهد الباي مصطفى بوشلاغم، إتخذها الأمير عبد القادر دارا لحكومته. وهي اليوم ولاية غرب الجزائر.

9. مستعملا الوساطة بالجاه...

10. محمد بن يوسف بن شعيب السنوسي التلمساني، متكلم وفقيه وأحد العارفين بالله أخذ عن الثعالبي وغيره من علماء تلمسان. له كتب في العقائد ونصرة الفقير، يدافع فيها عن خط التصوف والفقراء. كتب في مناقبه تلميذه الملالي في المواهب القدسية في المناقب السنوسية. توفي 895هـ.

11. كذا بالأصل وهو غير واضح.